الأستاذ معمري حميد

جامعة المسيلة

ط.د بعوش حياة.

جامعة الشلف

تحقيق أبي القاسم سعد الله للمخطوط السردي الجزائري (حكاية العشاق في الحب والاشتياق – أنموذجا –).

المقال:

تشكل المخطوطات ذخيرة تراثية ملأى بالأفكار والقيم مما خلفه أبناء الأمة من خلاصة تجاربهم وأفكارهم وعلومهم وإبداعاتهم ولا سبيل للاستفادة منها إلا بالتنقيب عنها وتحقيقها بشكل علمي ينفض عنها غبار الزمن والصمت التاريخي. وفي بلادنا برز العلّامة "أبو القاسم سعد الله" بتحقيقه للمخطوط السردي ممثلا في النص الرحلي والتاريخي والقصصي الشعبي الذي مثلته "حكاية العشاق في الحب والاشتياق" لمحمد ابن إبراهيم التي جنّسها سعد الله رواية شعبية فاتحا المجال أمام النقاد والدارسين لدراسة خصائصها وفنياتها. ونحن في هذه الورقة البحثية سنحاول الكشف عن جهود سعد الله في تحقيق المخطوط السردي الجزائري من خلال هذه العينة بتسليط الضوء على أهم ما اتبعه في منهج التحقيق بغية إحياء هذا النص و ايصاله مستساغا للقارئين والدراسين وإفادتهم منه.

مقدمة:

شغلت قضية تحقيق المخطوطات حيزا كبيرا من فكرنا المعاصر،فهي ترتبط بإحياء التراث و نفض الغبار عنه،هذا التراث الذي لا يمكننا الفكاك منه مهما ادعينا ذلك ذلك،ولا الاستغناء عنه،فهو رغم كونه،ينتمي إلى زمن غير زمننا إلا انه فاعل و مؤثر فينا و به نكون فاعلين،و مؤثرين في زمننا ،و هذا إذا ما أتحنا الفرصة لبذور الحياة أن تنمو فيه و تزهر ،و أولى الخطوات إلى هذا تكون بتحقيقه وفق أسس علمية صحيحة تمنحه القوة و الخصوبة اللازمة للإسهام في الحضارة و التأثير في الثقافة.

وإذا ما عدنا إلى تحقيق المخطوطات بالجزائر يطالعنا الدكتور أبو القاسم سعد الله بجهوده البارزة في هذا المجال خدمة للبحث العلمي في الجزائر و العالم العربي على حد سواء،ومن أهم النصوص التي حققها نص "حكاية العشاق" الذي عثر عليه مخطوطا بالمكتبة الوطنية فأزال عنه غبار الزمن بين أيدي القراء و

الدارسين للكشف عن سماته و خصائصه و تصنيفه ضمن النصوص السردية العربية عموما و الجزائرية على وجه الخصوص.

سنحاول في هذه الورقة البحثية أن تبرز جهود أبو القاسم سعد الله في تحقيق نص "حكاية العشاق في الحب و الاشتياق" والمنهج المتبع في هذا ،وأن نبين أهمية تحقيق المخطوطات في الكشف عن الوجه الفكري و الحضاري للأمة.

التعريف بالمحقق أبو القاسم سعد الله:أبو القاسم سعد الله من مواليد سنة 1930 م في قرية قمار إحدى ضواحي وادي سوف بالجنوب الشرقي الجزائري،تلقى تعليمه الأول فيها حيث حفظ القرآن الكريم،واصل تعليمه بجامع الزيتونة بتونس بين (1947-1954)،و تحصل على شهادة الأهلية ،اهتم بالأدب منذ صغره حتى لقب بالناقد الصغير."عاد إلى الجزائر في نفسه سنة التخرج 1954 اشتغل بمهنة التعليم بداية بمدرسة الثبات بالحراش التي كان يديرها "الربيع بوشامة،ثم درس بمدرسة التهذيب.[1]

وفي سنة 1955 سافر سعد الله إلى مصر بعد ظروف عصبية مر بها في الجزائر جراء مضايقات الاستعمار الفرنسي و قبل في كلية دار العلوم،وكان من الطلبة المتفوقين ،تخرج فيها بشهادة الليسانس في اللغة العربية و العلوم الإسلامية سنة 1959.ثم سجل في الدراسات العليا في تخصص النقد الأدبي ،فأتم السنة الأولى ،وأنهى الرسالة في السنة الثانية حول"شعر محمد العيد آل خليفة" لكنه لم يناقشها حيث سافر سنة 1960،إلى أمريكا بعد تحصله على منحة دراسة.فقصد جامعة منيسوتا أين تحصل على الماجستير في التاريخ و العلوم السياسية عام 1962م،ثم ألغى الدكتوراه في التاريخ الأوروبي الحديث و المعاصر 1965. [2]

شغل أبو القاسم عدة مناصب علمية و إدارية وهي:[3]

- أستاذ مشارك في التاريخ بجامعة الجزائر من 1967م إلى1971م.

- أستاذ التاريخ بجامعة الجزائر بدءا من 1971م.

- أستاذ مساعد في التاريخ بجامعة و بالولايات المتحدة الأمريكية من 1960م إلى1976م.

---

[1]- ينظر : سفيان لوصيف، أبو القاسم سعد الله وكتابة تاريخ الجزائر، مجلة دراسات وأبحاث، العدد 28 سبتمبر 2017، السنة التاسعة، ص 63

[2]- ينظر: حفيظة زين ، النقد الأدبي في آثار أبي القاسم سعد الله، بحث مقدم لنيل شهادة دكتوراه العلوم في الأدب العربي الحديثة والمعاصرة، 2015/2014، ص 16/15

[3]- ينظر: سفيان لوصيف، المرجع السابق، ص 265.

- وكيل كلية الآداب بجامعة الجزائر من 1968م إلى 1972م.

- رئيس قسم التاريخ بجامعة الجزائر بين 1969م إلى 1971م

- أستاذ التاريخ بجامعة آل البيت 1996-2002.

توفي "سعد الله" بتاريخ 14 ديسمبر 2013 عن عمر يناهز 83 سنة مخلفا وراء تراثا غزيزا أثرى به المكتبات الوطنية و العربية و العالمية.

أهم مؤلفاته:

عُرِفَ أبو قاسم سعد الله بموسوعيته في مختلف ميادين المعرفة التي اشتغل فيها ،و قد ترك نتاجا غزيرا أسهم به في بلورة الهوية الوطنية للجزائر و تعزيز انتمائها الحضاري.

ففي مجال الكتابة الإبداعية جرب أبو القاسم سعد الله مختلف الأنواع الأدبية حيث "كتب القصة و نشر مجموعته القصصية (سعفة خضراء)سنة 1986م،كما كتب الشعر العمودي و الحر و نشر ديوانه المشهور أثناء الثورة (النصر للجزائر) سنة 1957م.ثم ديوان (ثائر وحب)سنة 1967م،ليجمع إنتاجه الشعري فيما بعد في ديوان تحت عنوان(الزمن الأخضر) سنة 1985م.[1]

ولم ينضب قلم أبو القاسم سعد الله طيلة حياته،فقد ظل يكتب في الفكر و الثقافة و النقد و التاريخ إلى أن وافته المنية."و يمكن أن نذكر له كتاب (منطلقات فكرية) سنة 1982 م و (أفكار جامحة) سنة 1988 م و في (الجدل الثقافي) سنة 1993 م و (مجادلة الآخر)سنة 2006 م و(على خطى المسلمين - حراك في

[1]- حفيظة زين ، النقد الأدبي في آثار أبي القاسم سعد الله، ص 29

التناقض) سنة 2009 م و (حوارات) سنة 2005، كما كتب حول الرحلة من خلال كتابه (تجارب في الأدب و الرحلة) سنة 1982 م"[1]، وكتب أيضا دراسات في الأدب الجزائري الحديث سنة 1966 م.

أما بخصوص الكتابة التاريخية،فإن موسوعة تاريخ الجزائر الثقافي تعد أهمها،وقد قام فيها "بدراسة المؤسسات الثقافية والدينية والاجتماعية والتعليمية ،في فترة زمنية منذ بدايات العهد العثماني حتى استقلال الجزائر سنة 1962 م.وهذه الموسوعة التي جمعها أبو القاسم سعد الله من مختلف رحلاته،و استغرقت عقود لتأليفها تبقى مصدرا تاريخيا،و منطلقا للمؤرخين المهتمين بالتاريخ الثقافي الجزائري "[2]

لقد لقب أبو القاسم سعد الله بشيخ المؤرخين الجزائريين فهو رائد في هذا المجال و مؤلفاته التاريخية لا يكاد يجهلها باحث أو دارس نذكر منها ،الحركة الوطنية الجزائرية الذي جاء في ثلاثة أجزاء على التوالي في السنوات التالية (1962 م ،1969 م،1975 م)، (محاضرات في تاريخ الجزائر بداية الاحتلال) سنة 1971م (أبحاث و آراء في تاريخ الجزائر) في ثلاثة أجزاء ،نشرت على التوالي في (1978م،1986م،1960م)[3].

نشاطه في التحقيق :

لقد كان أبو القاسم سعد الله على وعي بقيمة التراث و أهميته فبذل مجهودات جبارة في سبيل بعث التراث الجزائري المخطوط بتحقيقه و إخراجه بذلك من غياهب الطي و النسيان.

ومن العوامل التي ساعدت سعد الله على الخوض في تجربة تحقيق المخطوطات أنه لما كان طالبا في كلية دار العلوم "وجد نخبة من العلماء المحققين الذين أخذ عنهم أصول العلم و حقائق المعرفة،فكان نعم الوارث لعملهم الغزير ،فقد كان من أساتذته الأستاذ عبد السلام هارون"[4] الذي يعد من شيوخ التحقيق و رواده المشهورين،فهو صاحب كتاب "تحقيق النصوص و نشرها "الذي صدرت أول طبعة منه عام 1945 م ليكون أول كتاب ينشر باللغة العربية حول تحقيق المخطوطات .[5]

---

[1]- المرجع نفسه، الصفحة نفسها

[2]- سفيان لوصيف، أبو القاسم سعد الله وكتبة تاريخ الجزائر، ص 265.

[3]- حفيظة زين ، النقد الأدبي في آثار أبي القاسم سعد الله، ص 32-33

[4]- سفيان لوصيف، أبو القاسم سعد الله وكتبة تاريخ الجزائر، ص 265/264.

[5]- ينظر: عبد الله بن عبد الرحيم العسيلان، تحقيق المخطوطات بين الواقع والنهج الأمثل، مكتبة الملك فهد الوطنية، ط 1994، ص 20

استطاع أبو القاسم سعد الله بفضل جديته و صبره أن يقتحم مجال التحقيق بقوة،و كانت ثقافته الواسعة وتخصصه في التاريخ أكبر سند له في هذا ،"فقد أثبتت التجارب أن المتخصصين في الدراسات الإسلامية أو العربية أو التاريخية هم أقدر الناس على تحقيق المخطوطات ،فلا بد للمحقق من أن يكون ملما بكل جوانب الثقافة الإسلامية "[1] و هذا ما كان عليه الدكتور أبو القاسم سعد الله.

لم يكن التحقيق لدى سعد الله تجربة يسيرة فقد تكبد فيها مشاق كثيرة إذ تحمل لوحده أعباء هذا العمل الذي لا يتم عادة إلا بتضافر جهود فرق بحثية كبيرة،بإمكاناتها المادية و البشرية و قد أثمرت تجربته صدور سبع أعمال تولت نشر معظمها دار الغرب الإسلامي اللبنانية ،نذكر فيها مايلي :

حكاية العشاق في الحب و الاشتياق لمحمد بن إبراهيم (الأمير مصطفى ،المؤسسة الوطنية للنشر و التوزيع،1977 م.

– رحلة ابن حمادوش الجزائري (رسالة المقال في النبأ عن النسب و الحسب و الحال)،عبد الرزاق بن حمادوش الجزائري،الجزائر ،1982 م.

– منشور الهداية في كشف من ادعى العلم و الولاية ،عبد الكريم الفكون،دار الغرب الإسلامي ،بيروت 1987 م.

– تاريخ العدواني ،محمد بن عمر العدواني ،دار الغرب الإسلامي 1996م.

– رسالة الغريب إلى الحبيب،أحمد بن أبي عصيدة البجائي،دار الغرب الإسلامي ،بيروت 1991م.

– أعيان من المشارقة و المغاربة (تاريخ عبد الحميد بك)دار الغرب الإسلامي ،بيروت،2000م.

تحقيق المخطوطات ،الماهية و الأهمية:

أ) **المخطوط:**

[1]- فهمي سعد طلال مجذوب، تحقيق المخطوطات بين النظرية والتطبيق عالم الكتب، ط01، 1993، ص 23.

"هو كتاب لم يتم طبعه بعد ،أي أنه مازال بخط المؤلف أو بخط ناسخه ،أو أُخِذَتْ عنه صور فوتوغرافية أو أن يكون مصورا بالمايكروفيلم عن مخطوط أصلي." [1]

وعادة ما نجد كلمة " المخطوط " مسبوقة بكلمة **التراث**،" و المراد بالتراث المخطوط ما وصل إلينا من مؤلفات و مصنفات مكتوبة بخط مؤلفها أو خط أحد النساخ قبل عصر الطباعة ،في مقابل ذلك الكتب المطبوعة التي خرجت إلينا بواسطة آلات الطباعة في العصر الحديث"[2] ومن هنا يتبين لنا أن مصطلح المخطوط ظهر مع عصر الطباعة للتفريق بين المطبوع و المخطوط.

ب)تحقيق المخطوط:

المقصود به "بذل عناية خاصة حتى يصح عنوانه ،واسم مؤلفه و يثبت نسبة الكتاب إليه و يكون متنه أقرب ما يكون إلى الصورة التي تركها مؤلفه."[3] حيث أن غاية التحقيق هو تقديم المخطوط صحيحا كما وضعه مؤلفه دون شرحه.[4] مما يعني أنه ليس من واجب المحقق أن يحسن من أسلوب المؤلف إذا كان مسفها ،ولا أن يصحح خطأ نحويا ارتكبه المؤلف و لا يشرح فيما رغب المؤلف أصلا في إيجازه."[5]

وقد أجمع معظم الذين صنفوا في أصول تحقيق المخطوطات في تعريفهم له على إخراج النص بالصورة ،التي جاءت عند مؤلفه،ويقتضي هذا التعليق عليه بما يقتضيه المقام كالتخرج و التوثيق من المصادر الأصلية و إيضاح و تفسير ما يحتاج إلى ذلك من الألفاظ و المصطلحات و التعريف بالأعلام و المواضع عند الحاجة،كل ذلك في حدود القصد والاعتدال مع وضع فهارس مفصلة لما اشتمل عليه الكتاب من علوم و معارف تخدم النص و تقربه من الباحثين و القراء.[6]

أهمية المخطوطات :

تعد المخطوطات جزءا من تراثنا الذي يعكس هويتنا و خصوصيتنا ،وعلاقة العربي بتراثه علاقة عضوية حيث أن هويته القومية برمتها،تتغذى من التراث لارتباط وعيه بأبعاد حضارية و تاريخية و دينية وسياسية على

---

[1]- فهمي سعد طلال مجذوب، تحقيق المخطوطات بين النظرية والتطبيق، ص 13.
[2]- عبد الله بن عبد الرحيم العسيلان، تحقيق المخطوطات بين الواقع والنهج الأمثل، ص 39
[3]- فهمي سعد طلال مجذوب، تحقيق المخطوطات بين النظرية والتطبيق، ص 17.
[4]- صلاح الدين المنجد، قواعد تحقيق المخطوطات، دار الكتاب الجديدة، بيروت، لبنان ، ط07، 1987، ص 15.
[5]- فهمي سعد طلال مجذوب، المرجع السابق، ص 18.
[6]- عبد الله بن عبد الرحيم العسيلان، تحقيق المخطوطات بين الواقع والنهج الأمثل، ص 37

حد سواء فتعلقه بما يختزنه ماضيه من إنجازات علمية و فلسفية و أدبية أشد من تعلق أي إنسان آخر بتراثه شرقا و غربا ."[1] ومن هنا تتأتى أهمية تراثنا المخطوط الذي أبدعته الحضارة العربية الإسلامية في شتى حقول المعرفة الإنسانية من تاريخ و جغرافيا و أدب وفن و طب و كيمياء ،و فلسفة و سائر العلوم. " [2]

إن العناية بتراثنا المخطوط و الإحساس به هو" إحساس طبيعي بالماضي و حاجة الحاضر إليه فالماضي و الحاضر إذا كلاهما يستحوذان على أعماق شعورنا و الإحساس بقيمة هذا التراث والعمل على استثماره على الأصول و الأسس العلمية التي يجني منها الواقع أزكى الثمار و أشهاها هو بعينه الرؤية الصحيحة للتجديد أو المعاصرة ."[3] و استمرار وجودنا في ظل التحديات التي تواجهها الأمة العربية لفرض كينونتها و التصدي للمحاولات الرامية إلى طمس معالم هويتها.

والواقع أن الكثير من الجامعات العربية "اهتمت بتشجيع الباحثين لديها على تحقيق مخطوطات تتعلق باختصاصهم كجزء من أطروحاتهم العلمية فأجازت الحصول على درجة علمية عليا كالماجستير أو الدكتوراه من خلال تحقيق مخطوطة ما تحقيقا علميا ،باعتبار أن تحقيق المخطوطة و نشرها لا يقل أهمية عن كتابة بحث إبداعي جديد".[4]

و هذه الجهود تستحق الإشادة و التقدير "لأن نشر المخطوطات ،إنما هو إحياء للتراث و بالتالي هو التفاتة واعية للماضي و فهمه من أجل بناء مستقبل سليم و إن أساء إلى هذه الظاهرة قيام بعض الناشرين الطامعين بالكسب المادي بطبع المخطوطات و نشرها دون تحقيقها بشكل علمي تماما مثلما التاجر ينشر بضاعته لضمان رواجها".[5]

منهج أبو القاسم سعد الله في تحقيق حكاية العشاق في الحب و الاشتياق لمحمد بن إبراهيم (الأمير مصطفى):

تعد (حكاية العشاق في الحب و الاشتياق) من أهم النصوص التي حققها أبو القاسم سعد الله ،و قد عثر عليه مخطوطا بالمكتبة الوطنية "فنفض عنه غبار الصمت التاريخي و الإهمال النقدي و أعلنه تحقيقا مكتوبا و جنّسه رواية منشورة سنة 1977 م" [6]،تولت طباعتها المؤسسة الوطنية للنشر و التوزيع و بهذا " أتاح لها الحياة بعد جهد

[1]- بشير خلف، وقفات فكرية (حوار مع الذات، وخز للآخر)، دار الهدى عين مليلة، الجزائر، ط 2009، ص 110
[2]- فهمي سعد طلال مجذوب، تحقيق المخطوطات بين النظرية والتطبيق، ص 05.
[3]- عبد الله بن عبد الرحيم العسيلان، تحقيق المخطوطات بين الواقع والنهج الأمثل، ص 32.
[4]- فهمي سعد طلال مجذوب، تحقيق المخطوطات بين النظرية والتطبيق، ص 06.
[5]- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.
[6]- زهور كرام، حكاية العشاق من عتبة المخطوط إلى روائيه التحقيق، القدس العربيwww.alquds.co.uk

يعرف الوقت الذي تطلبه ذلك و الأتعاب المترتبة عنه و القلق الدائم لذلك كل من تعامل مع الآثار القديمة بهذا المستوى الرزين." [1]

يقول المحقق "سعد الله" في مستهل كلامه في مقدمة التحقيق:" عثرنا على رواية أدبية تاريخية مخطوطة برقم 123 بالمكتبة الوطنية بالجزائر عنوانها (حكاية العشاق في الحب والاشتياق وما جرى لابن الملك الشائع مع زهرة الأنس بنت التاجر) وهي رواية تروي مغامرات عاطفية جرت بين البطلين المذكورين، وقد كتبت بأسلوب رقيق جمع بين النثر الصافي الذي يكاد يكون فصيحا والشعر الملحون"[2].

ومثلما هو واضح فالمحقق "سعد الله" اعتمد على مفهوم الرواية لتحديد جنس هذا النص الأدبي "وهذا راجع لكون زمن التحقيق كان مؤهلا لاستقبال النص باعتباره رواية[3].

ويواصل "سعد الله" كلامه في مستهل هذه المقدمة قائلا:" ولا نعرف أحد قد تعرض لها بالدرس أو النشر لذلك رأينا أن نفض عنها الغبار، ناشرين إياها بين أيدي القراء والباحثين لعلها تنال لديهم حظا من العناية والدرس[4].

وقد لفت هذا القول انتباهنا إلى أمر مهم وهو ضرورة أن لا يكون المخطوط قد حقق من قبل حتى يكون صالحا للحصول على درجة علمية [5].أما عن حظ هذا العمل الأدبي من العناية والدرس فقد كان ضئيلا. وكان المنتظر له " أن يحظى بدراسات جادة واهتمام خاص في صحافتنا إبان وصدوره، نظرا لطبيعة الفترة التي كتب فيها (1849) وأبعادها الثرية المختلفة الجوانب سياسيا واجتماعيا وتاريخيا نفسيا وحضاريا فوق كل ذلك، لكن الناس في شغل عن ذلك لأسباب كثيرة مختلفة تحمل في طياتها الإدانة للواقع الثقافي"[6] الذي كان سائدا آنذاك. أما الدراسا التي ظهرت فيما بعد فقد ركزت في معظمها "في مستوى انتقال النص من وضعه المحظوظ سنة التأليف المخطوط 1849هـ) إلى وضعه المكتوب المحقق سنة تحقيق/ الكتاب 1977) من خلال تحليل خطاب النصّ

[1]- عمر بن قينة، دراسات في القصة الجزائرية (القصيرة والطويلة)، دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، ط 2009.
[2]- محمد بن إبراهيم (الأمير مصطفى)، حكاية العشاق في الحب والاشتياق تحقيق، أبو القاسم سعد الله ، بوزياني للنشر والتوزيع، ط 2009، ص 03 (مقدمة المحقق).
[3]- زهور كرام، حكاية العشاق من عتبة المخطوط إلى روائية التحقيق، القدس العربي
[4]- محمد بن ابراهيم، المصدر السابق، ص 09(مقدمة المحقق)
[5]- ينظر: فهمي سعد طلال مجذوب، تحقيق المخطوطات بين النظرية والتطبيق، ص 20
[6]- عمر بن قينة، دراسات في القصة الجزائرية، ص 181

وتفكيك مظاهر الروائية من أجل إثبات شرعية"حكاية العشاق الروائية ومدى انتماء النص إلى الجنس الروائي[1] أما الذي يعنينا بحث في هذه الورقة البحثية فهو السبيل الذي انتهجه سعد الله في تحقيقه لهذا المخطوط لإيصاله مستساغا للقراء والدارسين.

افتتح" سعد الله" الكتاب بمقدمة التحقيق، وهو دأب كلّ المحققيين ، " فهذه المقدمة لابد منها لأنها تقدم معلومات للقارئ حول المخطوط وأهميته ومدى عمق الباحث وجديته في التحقيق والبراهين التي تؤكد صدق ذلك ومدى صحته "[2]، وهكذا جاءت مقدمة تحقيق" حكاية العشاق" حيث ضمّنها " سعد الله" العناصر الآتية: عائلة المؤلف- حياة المؤلف- وصف المخطوطة – أشخاص القصة – خلاصة القصة – تحليل القصة وأهميتها جدول بالكلمات التي تستحق الانتباه في النص.

وبعد مقدمة التحقيق التي تمثل القسم الأول، يأتي القسم الثاني الذي يعرض فيه متن المخطوط، معززا بالتعاليق في أسفل الصفحة دون تدخل في المادة الأصلية، ثم القسم الثالث المخصص للفهارس.

ذكر "سعد الله" في هذه المقدمة طريقة عمله المتبعة في التحقيق وهي تنم عن كفاءة وجدية لامسنا أثرها ونحن لطالع هذا الكتاب بروية، ونمعن النظر في هوامشه وفهارسه، والملفت للانتباه في تجربة "سعد الله" في تحقيقه لهذا المخطوط السردي أنها انبنت على تفكير مطول ودقيق عماده الروية والأناة والحرص على اختيار الأمثل لاسيما فيما يتعلق بتصحيح الأخطاء ومعالجتها، وفي هذا السياق يقول المحقق" بدا لي أن أصحح النص ولكني عدلت على ذلك لأني لو فعلت لكان تدخلا مني في نص ليس لي ولعاتبني القارئ بأنني لم أقدم له النص بأمانة ثم بدا لي أن أترك الأخطاء كما هي في النص لكن أنبه على كل منها في الهامش مع وضع الكلمة والعبارة الصحيحة المقابلة لها ولكني عدلت عن ذلك أيضا لأن نفس الخطأ موجودة عدة مرات في الصفحة الواحدة مع ما في ذلك من الرتابة والثقل"[3].

وقد اهتدى أبو القاسم سعد الله بهذا التفكير إلى حل أمثل حيث يقول: " لذلك اخترت أن أضع قائمة في أول الكتاب بأهم الأخطاء منبها عليها دفعة واحدة، تاركا النص على حاله أما التعاليق في أسفل الصفحات فقد

[1]- زهور كرام، مرجع سابق، القدس العربي.
[2]- فهمي سعد طلال مجذوب، تحقيق المخطوطات بين النظرية والتطبيق، ص 44
[3]- حكاية العشاق، محمد بن إبراهيم، مقدمة التحقيق، ص 16

تركتها لبيان العبارات الغامضة أو المحلية أو الإشارة إلى الخطأ إذا كان فهم المعنى يتوقف عليه، كما أنني قسمت النص إلى فقرات وأضفت إليه النقط والفواصل ونحوها[1].

يتبن لنا من كلام سعد الله حرصه على تحري الأمانة، وعنايته الفائقة بتصحيح الأخطاء وهذه الأمور من مقتضيات التحقيق الجيد للمخطوطات وقد لاحظنا أن "سعد الله" التزم في تعليقاته حدود القصد والاعتدال فهو لم يسرف فيها ولم يقصر أيضا في إيضاح ما يستدعي التوضيح في النص.

لقد اعتمد سعد الله على نسخة واحدة من المخطوط في التحقيق وهي النسخة الأصلية المكتوبة بخط مؤلفها وهذا لعدم عثوره على نسخ أخرى وفي هذا الصدد يقول: " الواقع أن المتأمل في النص يجده مكتوبا بخط واحد وأن هذا الخط يماثل ذلك الذي كتبت به التقييدات في بداية المخطوطة وإننا لا نعرف أن هناك نسخة أخرى لهذا النص وكل هذه العوامل تؤكد أن المؤلف هو الذي كتب بخط يده قصة ولا نستبعد أيضا أن يكون قد أملاها على بعض الطلبة"[2].

وتجدر الإشارة هنا إلى أن النسخة الأصلية التي تمت على يد مؤلفها" تعد أرقى النسخ وأعلاها منزلة وقيمة تاريخية، ذلك لأنها تمثل الصورة الصحيحة لأسلوب المؤلف، ولغته وشخصيته العلمية، حيث تم كتابه على النحو الذي وضعه له وألفه به، وكتبه بخط يده، مما يجعله في مأمن من تلاعب النساخ وأخطائهم، وجهل بعضهم، ومن هنا تأتي أهميتها[3]، وهذا طبعا إذا لم يتعرض المخطوط للتلف الذي سبب من الأسباب.

والواقع أن تحقيق نص لم تتوافر منه إلا نسخة واحدة أمر في غاية الصعوبة، خصوصا إذا اعترضت المحقق كثرة الخطاء اللغوية، وقد وجدت بكثرة في نص "حكاية العشاق" لاسيما الإملائية والنحوية ، ولكن هذا لم يثن عزيمة "سعد الله" في تحقيق متن النص المخطوط وإخراجه إلى القارئ في أحسن صورة مستعينا بأهل الاختصاص كالشيخ محمد الطاهر التليلي القماري الذي تعب معه في مقابلة نسخة الكتاب : "كما يعود إليه الفضل في ردّ عدد من الأبيات والعبارات التي أوردها المؤلف إلى أصولها من كتب الأدب والدواوين[4]

والواضح مما ذكرناه عناية "سعد الله " بكل أقسام الكتاب من مقدمة التحقيق إلى المتن وحتى فهارسه حيث أتت شاملة لأهم الجوانب العلمية والحضارية إذ ضمّنها مايلي:

---

[1]- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.
[2]- حكاية العشاق في الحب والاشياق، محمد بن إبراهيم، مقدمة التحقيق ، ص 15
[3]- عبد الله عبد الرحيم العيسلان، تحقيق المخطوطات بين الواقع والنهج الأمثل، ص 124.
[4]- المصدر السابق، مقدمة التحقيق، ص 30.

أ/- الألفاظ والتعابير الحضارية المتمثلة في المأكل والمشرب والملابس والزينة والطيب والطرب والنزهة والمنازل ولوازمها، والبيئة العامة.

ب/- الحكم والأمثال

ج/- التعابير السياسية.

د/- الأعلام

هـ/- الأماكن

و/- الكتب والدوريات.

وهكذا استوفى في "سعد الله" ما يتطلبه التحقيق مقدما للعمل المحقق بذكر أهم ما يتعلق به، وشارحا ومعلقا عليه دون المساس بأصله وواضعا فهارسه، وقد لمسنا أيضا ملامح من النقد الأدبي في تحليله للقصة في مقدمة التحقيق، ليفتح المجال بذلك للباحثين والدارسين لتقييم " حكاية العشاق" ووضعها في مكانها من التراث الشعبي الجزائري.

الخاتمة:

خلصنا من خلال هذه الورقة البحثية إلى أنّ مجال التحقيق أمر صعبٌ وشاق لا يستطيع خوض غماره إلا المتمرسون في البحث، وأنه يتطلب الجدية والأمانة والأناة والصبر، وقد توافرت في أبي القاسم سعد الله كل هذه الصفات وأثمرت إخراج العديد من مخطوطاتنا المغمورة ليطلع عليها الباحثون ويستفيد منها الدّارسون. وقد لمسنا في تجربة أبي القاسم في التحقيق حرصه على الالتزام بالقواعد والأسس العلمية في منهجه، وهو ما أضفى عليها قيمة عالية وهذا ما تؤكده عينة من أعماله التي درسناها والمتمثلة في (حكاية العشاق في الحب والاشتياق) وهي تعد من تحقيقاته البارزة خصوصا أنها جعلت النقاد والدارسين يعيدون النظر في مسألة الريادة الروائية في العالم العربي وهو ما يجعل الجزائر تتبوأ مكانة فكرية وحضارية هامة من خلال سبقها في مختلف المجالات الإبداعية.